جيوبوليتيك السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية: قراءة في القدرة التفسيرية للنظرية الواقعية

السعيد لوصيف
أستاذ مساعد (أ) ، جامعة باتنة1
باحث دكتوراه جامعة باتنة1
sdloucif@gmail.com

ملخص:

المقالة محاولة محدودة تدعي بناء تصور جزئي للجيوسياسة الروسية الخارجية الجديدة تجاه المنطقة العربية تحت إدارة "بوتين"، وهي تحاجج مبدئيا بأن هناك اعتباران كافيان لتأسيس ملامح أوضح للسياسة الخارجية الروسية، هما طغيان العقيدة الجيوبوليتيكية وتحكمها التاريخي في رسم سلوك ومصير روسيا تجاه محيطها الخارجي أولا، وهذا لدى فصيل لا بأس به من نخبة روسيا السياسية عبر ثنائية ضدية كونية قارية قائمة مسبقا بين الولايات المتحدة وروسيا، وثانيا عامل ترسخ لا مشروط للسياسة الخارجية الروسية وبعمق في التقليد الواقعي للعلاقات الدولية والنظام الدولي، باختصار مجازي؛ فإن الورقة تريد أن تجيب عما إذا كان هناك من حدود معلومة للقدرة الموضوعية لـ " الحصان الواقعي" لـ "والتز" وآخرين؛ على تلمس واقتفاء آثار "الدب الروسي " المتجه صوب الشرق الأدنى الموسع "جيوسياسيا" هذه المرة تحت إمرة "بوتين"؟

الكلمات مفتاحية: الجيوبوليتيك، الواقعية ،السياسة الخارجية ، المنطقة العربية، روسيا الاتحادية.

Abstract:

The article is a limited attempt that claims to build a partial perception of the new Russian foreign geopolitics towards the Arab region under Putin's administration. It argues in principle that there are sufficient considerations to establish clearer features of Russian foreign policy: the tyranny of geopolitical ideology and its historical control of Russia's behavior and destiny The first is that of a considerable faction of Russia's political elite through a pre-existing continental cosmopolitan dualism between the United States and Russia; second, an unconditional stabilizing factor of Russian foreign policy and profoundly in the realist tradition of international relations and the international order, The paper wants to answer whether there are known limits to the objective capacity of Waltz "Real Horse" and others to touch and trace the "Russian Bear" heading for the enlarged "geopolitical" East this time under Putin's command "?

Keywords: Geopolitics, Realism, Foreign Policy, Arab Region, Russian Federation.

مقدمة:

تدعي هذه الورقة البحثية أنه ليس ثمة من مجال موضوعي لبحث السياسة الخارجية الروسية في المستوى الجيوسياسي تجاه الشرق الأوسط أوالمنطقة العربية عموما ؛ وفي جزء كبير منها دون الاعتراف المسبق واللامشروط بالدور الكافي للنظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة مثل خطاب أكثر نضجا من بعض النقاشات نفسها داخل حقل العلاقات الدولية ، على أن التحليل الجيوبوليتيكي قائم أساسا على فهم خاصية "الدينامو-جينيك" Dynamo –Génique التي تنمذج سلوك الفواعل في النظام الدولي، فضلا عن بحث " Relativisation" الفواعل والبنية التحتية الجيوبوليتيكية للأفعال والسلوكات ، والتكوين المكاني للظواهر السياسية ونظاميتها systémographieوغيرها من محددات الدراسة ، وهذا كله من خلال تحليل عاملي لفضاءات أربعة بعلاقة تناسبية جد معقدة أي تحليل نظامية وحركية الفواعل داخل النظام الدولي (Gérard dessouy 2001.pp.19-27)، مما يفهم منه ضرورة أن تتبنى النظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة في تحليلاتها للعلاقات الدولية القائمة؛ ذلك التوجه العام نحواعتداد مسبق بدور وأهمية كل المتغيرات التحليلية دوما ضمن سياق تفكيكي عام للظواهر لا يستثني حتى تلك المتغيرات "دون-المجهرية" ، هذا ، كما تعتد المقالة مرة أخرى بالحكمة الأزلية التي تمنحنا إياها المدرسة الواقعية بجميع أطيافها من خلال تقدير موضوعي لقدرتها التفسيرية "دون - التنبؤية" سواء في ذلك ما تعلق بالسياسة الدولية (كنظرية كبرى) أومن خلال ما أقحمها فيه بعض "المغرمين ببريقها" من الواقعيين" غير المؤسسين / التأسيسيين" في مضمار السياسة الخارجية للدول (كنظرية مفردة).

1- السياسة الخارجية الروسية ووهج الخطاب الجيوبوليتيكي الواقعي

في اللحظة التي يستمر فيها رئيس روسيا الاتحادية اليوم في الإمساك بزمام الحكم؛ بعد منحه الشرعية مجددا من قبل أكثر من (56) مليون من مجموع أزيد من (109) مليون ناخب روسي في اقتراع شبه محسوم منذ البداية ، أي بنسبة 76.66% من مجموع أصوات الناخبين حسب ما أعلنت عنه لجنة الانتخابات المركزية الروسية خلال شهر مارس من العام الجاري، فإن الغرب عموما (أوروبا وأمريكا) لا يزال هوالآخر- بالمقابل- مستمرا على ما يبدوفي ابتذال المزيد من العداء غير المؤسس لروسيا بما يمكن أن نطلق عليه "محاولة إجهاض مشروع الأمن الناعم" جيوسياسيا بين أبرز الكتل والأقطاب في السياسة العالمية، لذلك سيستمر الرئيس "بوتين" في السحب من تلك الخزانات العقائدية لمدارس النخبة الروسية كل من "الواقعية" و"القومية الوطنية" و"الليبرالية" وذلك استكمالا منه لخيبة الأمل الكبرى تجاه الغرب خدمة للمشروع الجيوبوليتيكي الواقعي الروسي ومن أجل "روسيا قوية" و"عالم متعدد الأقطاب"، من أجل "روسيا المستقلة في القارة المستقلة" على ما يبدو.

حقيقة، إذا كانت روسيا قد أخذت العالم على حين غرة باتجاهها غربا وشرقا نحوشبه جزيرة القرم في 2008 والشرق الأوسط في 2015، فإن من النافل القول اليوم أن ردة فعل بريطانيا ضد روسيا على خلفية قضية تسميم (العميل) الجاسوس الروسي "سكريبال " بغاز الأعصاب مؤخرا في لندن؛ قد أخذت على حين غرة هي الأخرى رواد نخبة "البوتينيزم" Putinisim داخل روسيا كما قد أثارت حفيظة " الأعقاب السوداء" خارجها؛ بما منح حقيقة "جرعة حياة" باردة للقوميين والواقعيين الروس مجددا على الرغم من ضبابية الرؤية حيال الهدف غير المعلن للغرب تجاه شخص الرئيس الروسي الحالي، ما شجع أكثر على بقاء عقيدة "الروسوفوبيا"

طافية على السطح مثل ورقة مربحة للرئيس "بوتن" مجددا، فضلا عما قامت به الولايات المتحدة (العدو"شبه – الكوني" لروسيا) في قضية طردها 60 دبلوماسيا روسيا وعائلاتهم على نفس الخلفية .

إن الأهمية الجيواستراتيجية للمنطقة العربية ماضيا وحاضرا والتي تزدهر يوما بعد يوم في عيون الغرب والشرق الكبير ككل، قد أصبحت تعني الكثير بالنسبة لروسيا هذه الأيام، وعلى ما يبدوفإن الواقعية الروسية الجديدة التي تمتطيها روسيا الآن وتتباهى بها أمام الغرب والشرق معا ما هي إلا محصلة عامة لذلك، والتدخل الروسي في سوريا مع نهاية شهر أيلول/سبتمبر 2015 على خلفية الأزمة السورية منذ 2011 (الأزمة المدولة) - بغض النظر عن كل الاعتبارات الأخرى- ما هو سوى امتداد طبيعي وجزء مهم من صراع جيوبوليتيكي واقعي كوني "طبيعي" هو الآخر بين الشرق والغرب، يترجم نسبيا على أرض الواقع أغلب افتراضات المدرسة الواقعية بتنويعاتها العديدة، خاصة ما تعلق بمفهوم توزيع القوة وعنصر المصلحة والمركزية.

في الواقع، ما من شك أنه خلف هذه التمثيليات والصور والمشاهد الدراماتيكية التي تحدث يوميا يقبع خناق برادايمي مؤسس، كما قد ينشب وينتشي نقاش خطابي خلافي مختلف ومربك حتى ، بل ومتعدد الأوجه داخل الحقل المعرفي للعلاقات الدولية، بل داخل النظرية الواحدة نفسها من بين نظريات العلاقات الدولية (الدفاعيون والهجوميون (العدوانيون) الواقعيون) ؛ المتوالدة معرفيا وتلك التي ستولد مجددا (الابستيمولوجيا الواقعية "النقدية" ضمن النقاش الخامس) نتيجة نضج وتضارب الأنماط المعيارية الجديدة باستمرار، لذلك ليس من الحكمة في شيء أن نحاول فهم وتفسير السياسة الخارجية الروسية أو غيرها مهما كانت توجهاتها خارج دائرة "ضجيج ودخان "هذا العراك ، كما أنه ليس من اللائق تلمس مسار السياسة الخارجية لأي كان من الدول في النظام الدولي – بصورة مفردة أو مجملة- خارج نطاق الحاضنة "فوق – النظرية" التي تكتسح بها الجيوبوليتيكا العائدة من جديد حقل التنظير في المضمارين "السياسة الخارجية والسياسة الدولية"، هذا على الرغم من إقرار "كينيث والتز" Kenneth Waltz نفسه بإمكانية تعثر "حصانه" في حين لو جرت محاولة تشغيله ، حتى ولوكان ذلك من قبل فارس شجاع مثل "كولن إلمان" Colin Elman على المضمار الأول دون الأخير في إطار التوجهات الجديدة للواقعية البنيوية الثانية، لذلك يبدوعلى أقل تقدير أن قوة خطاب النظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة ستساعد "التائهين" ولولمزيد من الوقت - ضمن ضجيج النقاش الحالي القائم وسط نفس الحقل المعرفي للعلاقات الدولية- من أجل تمثلهم "استراحة محارب" في "محطة صيانة" على مضمار شاق وملتو قد لا ينتهي، خاصة منهم ممن يشتغلون في مجال تحليل السياسة الخارجية بولع النظريات الكبرى- اختيارا- وليس من خلال نظريات الصف أو المدى المتوسط Middle Range Theories

التصعيد الدبلوماسي "البارد" البريطاني- الأمريكي الأخير ضد روسيا قد يوحي بتأسس "صراع" برادايمي جديد داخل النظريات التأسيسية العقلانية التفسيرية نفسها، كما قد ينم عن أخطاء "شبه مرفقية"، فادحة قابعة هي الأخرى داخل صف "دون- المؤسساتيين" الليبراليين الجدد تحديدا ؛ الفارين مؤخرا من فخ "دوتش وميتراني "، وكأنه بإمكاننا القول أن أخطاء هؤلاء "العفوية" تصنع أيضا بنفس الطريقة اليوم إلى حد ما "روسيا الواقعية"، "روسيا العقلانية الجديدة"، وهذا لا يعكس بالمرة تبلور شكل من أشكال التحاور أو النقاش الجديد بقدر ما يعني "إرهاص قطيعة توافقية حادة مسبقة ذاتية"، ذلك أن ما تتبناه "تيريزا ماي" اليوم دبلوماسيا هو على أقل تقدير هجوم "ناعم إرادي" على مكتسبات المؤسساتيين الليبراليين ذاتيا وفي مستويات عدة، بما يعني محاولة إجهاض توازن معادلة القوى الناعمة المنشئة للأمن "غير الخشن" على المسرح الدولي- هذا إذا ما 'أحببنا' الأخذ بعين الاعتبار المفهوم الموسع للأمن حسب "باري بوزان" Barry Buzan- والتي تطلبت هي الأخرى

جهودا عالمية حثيثة لإقرارها، ووهج الواقعية هذا المكتسب (داخل روسيا) لا يمكن أن يكتسب فعاليته هو الآخر (خارجها) إلا ضمن دائرة موسعة من القناعات النظرية الجيوبوليتيكية المؤسسة والمفعلة للسلوك الروسي الخارجي ،من خلال طروحات النظرية الجيوبوليتيكية الروسية، على أنه يجب أن نميز في ذلك - حسب الفيلسوف والمنظر الروسي "الكسندر دوغن" - بين مستويين تحليليين لا يمكن الخلط بينهما في دراسة العلاقة القائمة بين روسيا والحضارات القارية الأخرى المجاورة "الرومانو– جرمانية" في الغرب والحضارات التقليدية الثلاث في الشرق (الإسلامية- الهندوسية والصينية) هما : الجوهر الثقافي –التاريخي لروسيا أولا وثانيا المستوى الاستراتيجي – الجيوبوليتيكي ، فالنظرية تعتبر روسيا من الناحية الروحية شيئا آخر لا يوجد تعبير عنه لا في مصطلحات الشرق ولا الغرب، ذلك أن رفض الغرب والشرق في المخطط الثقافي لروسيا يمثل العنصر التاريخي الثابت لاستقلالية روسيا في إطار من "الواقعية التاريخية" (ألكسندر دوغن 2004.ص 209)، والتي تترجم بدورها تلك الرؤية الاعتقادية المؤسسة لفرادة روسيا ووحدتها الثقافية والروحية اليوم.

من ناحية أخرى، فإن النظرية الجيوبوليتيكية الأوراسية ، والأوراسية الجديدة تتمحوران حول فكرة "أوراسيا أولا"، مثل نظرية ذات فلسفة عضوية تؤسس لدور "النفثة العاطفية" في تشكيل "الاثنوس" الروسي ذو النزعة التكوينية "السلافية- التركية" والذي مكن لظهور روسيا الأوراسيا أو الإمبراطورية الأوراسية على خلفية الإسهامات المهمة للمؤرخ والعالم الروسي "ليف غوميليوف"، إضافة إلى أنها تعتمد أفكار أخرى لـ "ب. سافيتيسكي" و"ن.تروتسكوي " و"نيكولاي أوستريانوف " وغيرهم والذين ينظرون إيديولوجيا لروسيا على أنها محور المدى الجيوبوليتيكي الكبير، في صيغة تطلع قومي حداثوي روسي نحوالشمولية الأوراسية المعادية للأطلسية، إضافة إلى اعتبار أوروبا بمثابة قوة قارية محتملة والاعتراف بالأهمية الإستراتيجية لأوروبا في إطار اكتمال "المجال الكبير " الأوراسي ، فضلا عن اختيار الدول الإسلامية وخاصة إيران القارية على أنها الحليف الاستراتيجي الأهم، مع ايلاء أهمية بالغة للحلف "الروسي- الإسلامي" في أساس الإستراتيجية الروسية المعادية للأطلسية، ناهيك عن أهمية بناء حلف قاري جديد يشتمل على أوروبا كلها حتى الأطلسي وبالدرجة الأولى المعسكر "الفرانكو– جرماني" (ألكسندر دوغن 2004 .ص 213)، إضافة إلى عدد من القطاعات الأهم من الشاطئ الجنوبي للأوراسية (الهند، الهند الصينية، ايران)، وإما أنه يجب ضمان الحياد الودي لهذه البقاع أي إخراجها من تحت الهيمنة الأطلسية حسب نظرية الثنائية القطبية الجيوبوليتيكية الأوراسية الجديدة (ألكسندر دوغن 2004.ص ص 194-201) .

2- واقعية النخبة السياسية الروسية : "بوتين" ومبدأ "التعددية القطبية"

أغلب قراءات وتحاليل توجهات السلوك الخارجي الروسي تجمع على أن البرامترات التي تميز السياسة الخارجية الروسية قد تراجعت نحو الواقعية ، وقد تطور هذا الخط الفكري اعتبارا لحالة الإحباط الروسي في الجزء الأول من تسعينيات القرن الماضي ، يمثله "ايفغيني بريماكوف"Evgueni Primakov وزير الشؤون الخارجية من 1996-1998 ثم رئيس الوزراء بين عامي 1998-1999 (Jouanny2016.p74) ، وتبعا لذلك فقد تبنت النخبة الروسية الواقعية عدة طروحات وتوجهات أهمها:

- ضرورة إعادة ضبط وضع روسيا على الساحة الدولية من أجل ضمان احترام مصالحها ذات الأولوية في عالم ينظر إليه الآن على أنه أصبح عالماً متعدد الأقطاب وأنه "لم يعد أحادي القطب ولا ثنائي القطب " .« Non Plus Unipolaire Ni A Fortiori Bipolaire »

- أن الساحة الدولية بالنسبة لمثلها "تنافسية" Concurrentielle، ويجب على الجميع في إطار الأمم أن يسعى إلى ضمان استقلاليته ودفاعه بوسائله الخاصة (فكرة العون الذاتي) Self- Help، ومن هذا المنطلق يجب علينا أن نفهم هدف إعادة استثمار "موسكو" منذ منتصف التسعينيات، لدوائر " الخارج القريب" L'étranger Proche ودوائر "الخارج البعيد" L'étranger Lointain، والتي تم التخلي عنها في البداية لصالح الدائرة الأوروبية – الأطلسية وحدها ، وفي هذا الشأن فإن" ايفغيني بريماكوف" يعتقد أنه من المهم حقا استعادة حق الكريملين في التدقيق في التطورات التي تجري ضمن محيط روسيا ، مع ترك مسافة طويلة في نفس الوقت بينها وبين الطموحات التوسعية الغربية.
- في ظل الطموحات التنافسية والتوسعية للغرب، كان لزاما على النخبة الروسية أن تفكر بواقعية ، ذلك أنه من الضروري إعادة إقامة روابط مع القوى الإقليمية الكبرى غير الغربية منها، لضمان فرص جديدة للاقتصاد الروسي عند الاقتضاء بهدف رفع الضغوط والمساومة الغربيين الدائمين على روسيا (Jean Robert Jouanny2016.p74).

إن سعي القوى الغربية الحثيث نحو التوسع شرقا، سواء من خلال أداة حلف شمال الأطلسيNATO أو نشر القواعد العسكرية بالقرب من المجال الحيوي الروسي بالمفهوم "الجيوسياسي" وغيره من الأدوات التوسعية على حساب الدور والمصالح الروسيين، مع تهميش دور روسيا وعدم إشراكها في الأشكال القرارية الأممية تجاه قضايا عالمية مختلفة، هي بلا شك من مصادر قلق النخبة الواقعية الروسية، وعلى الأرجح، هناك قلقان رئيسيان بالنسبة للواقعيين الروس يأتيان من خارج روسيا(من البيئة الخارجية) يتمثلان تحديدا في وقف تقدم NATO في أوروبا الشرقية أولا، والدفاع عن الحق الروسي في المشاركة والإدلاء بالرأي في الأشكال القرارية للحوكمة العالمية سواء من خلال G8/G20، أومن خلال مجلس الأمن الدولي ثانيا (Jean Robert Jouanny,2016.p74) .

في الواقع، هناك من يعتقد "...أن معظم البلدان، حتى معظم القوى العظمى قادرة على البقاء والاستمرار من دون عقيدة أو رسالة أو مصير واضح ، ولكن ليس روسيا"(وولتر لاكوير، 2015،ص22)، ذلك أن روسيا مع قوة تاريخها وقيمها وتفردها الجغرافي، لديها مسار تنمية خاص بها، ولا يمكن أن تستوعب أية أبوية أو أية وصاية غربية في هذا المجال، وكنتيجة لذلك فإن العقيدة الواقعية للنخبة الروسية تتخلى عن أولوية سيادة ديمقراطية السوق وحقوق الإنسان التي ينادي بها الغرب.

اعتبرت مواضيع مقلقة ومهيجة للنخبة الروسية - منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين- تلك المقترنة بالعلاقة بين روسيا وشركائها الغربيين مثل الاعتراف بكوسوفو، والثورات الملونة Révolutions de Couleur (قضية جورجيا وأوكرانيا)، والدرع الأمريكي المضاد للصواريخ، وتوسيع حلف شمال الأطلسي ، وتبعا لمبدأ "بوتين" فإن تلك الأحداث والمواضيع كانت بمثابة دافع قوي لكي يسجل الرئيس نفسه خلال ولايته الثانية (2004- 2008) ضمن التيار الواقعي، ففي اجتماع ميونيخ في فيفري 2007 ندد "بوتن" بشدة فكرة " العالم أحادي القطب" Le Monde Unipolaire من خلال قوله : *« ce lui d'un unique maitre , d'un unique souverain »* ، أي وجود "سيد واحد ، سيادة واحدة"، منتقدا بذلك "دروس الديمقراطية " التي تصرف من الغرب إلى روسيا، -مستعينا لتنفيذ مبدئه الواقعي ذاك - بثقل المجمع العسكري الصناعي Complexe Militaro-industriel (MIC)،

وكذا دعم نخبة "السيلوفيكي" Siloviki والشركات الكبرى الموجهة نحو الأسواق الناشئة (Jean Robert Jouanny,2016.pp74-75).

من المؤشرات الدالة على استمرار العقيدة الواقعية للرئيس الحالي لروسيا رغم انتهاء ولايته الثانية في 2008، وبعد ثماني سنوات من خطابه الأول في ميونيخ، استخدامه نفس الخطاب لتبرير التدخل الروسي في ســــوريا قائلا:" لقد أدت الجهود بكل الوسائل لتوسيع نطاق الهيمنة من جانب واحد... إلى خلل في نظام القانون الدولي، وقواعد التنظيم العالمي"، مشيرا من خلال كلمته أمام نادي "فالداي"*Club Valdai* في أكتوبر 2015 إلى "الثورات الديمقراطية" *Révolutions Démocratiques* التي أثارها الغرب بهدف معارضة الدعم العسكري الروسي لقوات الرئيس السوري "بشار الأسد" منتقدة بذلك شخص الرئيس "بوتن" نفسه (Jean Robert Jouanny,2016.p74)، بيد أن مؤشرات أخرى كثيرة مصدرها متغيرات جديدة تحدث على الساحة الدولية في منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية ككل (الربيع العربي بثوراته وخيباته، ناشطية الحركات الانفصالية الدينية والجهادية في العراق وسوريا وليبيا ...)، وحتى على مستوى محيط روسيا القريب والبعيد، دفعت الرئيس "بوتن" عشية انتخابه في 2012 إلى تعزيز نزعته الواقعية أكثر بقليل، مع ذلك فقد ظهرت متغيرات جديدة أخرى على الساحة العربية تحديدا (مثل تذبذب تارمومتر عملية السلام جيوبوليتيكا بين الفلسطينيين وإسرائيل، واستمرار توتاليتاريا السلطة في المنطقة العربية، فضلا عن رعونة الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" ودعوى تهويد القدس، وكذا عاصفة السعودية "الأخ الأكبر الميئوس منه" وجرح اليمن، وكذا الاتفاق النووي التاريخي الغربي الإيراني، مع "الواقعية الاستباقية العدوانية" الجديدة للرئيس التركي "أردوغان" في العراق والآن في سوريا "عملية غصن الزيتون" ...)، ساعدت بدورها على بلورة رؤية جديدة للرئيس الروسي والنخبة الواقعية الروسية تحديدا تجاه المنطقة العربية، خاصة منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي، وإلى حد ما يمكن الادعاء بأنها قد أضحت البطن الرخو الثاني والحديقة الخلفية الجديدة لروسيا جنوباً بعد منطقة آسيا الوسطى، كما لا يمنع أن تكون مع ذلك كله قوسا من أقواس الهيمنة الجيوبوليتيكية التعددية الجديدة لصالح روسيا وحلفها "الجديد الموعود" هذه المرة في الشرق والشرق الأدنى الموسع، مثل نطاق صحي ضد الأطلسية ولكن هذه المرة ليس عن طريق حرب باردة كلاسيكية ثنائية القطب ، بل يجوز أن تكون قد اندلعت حرب باردة كلاسيكية جديدة تأخذ في الحسبان مبدأ تعددية الأقطاب المتضاربة والمتحالفة في نفس الوقت على مساحة محدودة من اليابسة والماء معاً، وإذا من الممكن ؛ فلنسمها "إستراتيجية الحرب المحاصَرة" داخل سوريا، أو كما نعتها المنظر الأوراسي "فلاديسلاف سوركوف" بنموذج" الحرب غير الخطية في سوريا" وهي تعني خلق "حرب بدائية بين أمتين"، أوهي بمثابة "لعبة كمبيوتر" كما يضيف آخرون ،أوهي مجرد" ألعاب فيديو" كما تصورها الرأي العام الروسي، مع ذلك ، ورغم فعالية مبدأ تعدد الأقطاب وقابلية اعتناقه الواسعة النطاق لدى النخبة الروسية السياسية، لن يكون من السهل على بوتن أن يستثني بصورة أوبأخرى تلك العقائد الراسخة عضويا في قناعات وميول نخبة "ذوي الحنين" *Les Nostalgiques* إلى الاتحاد السوفياتي، القوميين والمحافظين والشيوعيين (اليسار) في روسيا والذين يتماهون إلى حد ما - عن طيب بال- (و) مع الادعاءات الجيوسياسية للخطاب المؤسس داخل حلبة صراع تاريخي بين "نوموس البر" و"نوموس البحر"، بين "التيليلوكراتيا والتالاسوكراتيا"، إنها حلبة صراع "الأوراسيين الجدد والأطلسيين".

3- جيوسياسة روسيا "الواقعية" تجاه المنطقة العربية: إخراج انتقائي للمشاهد

قد تفيدنا استعارة مقتربات مثل "التناص" ، "الخطاب" و"اللغة" من "الكسندر واندت" وعن باقي رواد النظرية البنائية الشهيرين، ومن ثم تشغيلها عبر خلفية ما توافر لدينا حتى اللحظة – حصرا- من نصوص نوعية تمارس العراك الابستيمولوجي- المسيس حول " مجيء وذهاب الجيوبوليتيكا"، كل من نص " نهاية الجيوبوليتيكا ؟ انعكاسات على قواعد القوى " La fin de la géopolitique ? Réflexions géographiques sur la grammaire des puissances لـ Michel Foucher، ونص "عودة الجيوبوليتيكا : " انتقام (ثأر) القـوى التعـديلية The Return of Geopolitics. The Revenge of the Revisionist Powers لـ " والتر راسل ميد " Walter Russell Mead؛ في بناء معنى تصوريا سيميولوجيا يتجه اعتقادا نحو توليفة نصية جديدة توحي بعودة الجيوبوليتيكا؛ الابن "غير الشرعي الضال" على ما يبدوإلى أحضان أبيه (الجغرافيا السياسية) ، وإذا كان من المفيد أيضا أن نكتب نصا " ثالثا حيا " بالمقابل فإنه لن يكون - والمشهد العام على الساحة الدولية اليوم تحت وطأة وسطوة النظريات الكلاسيكية - إلا تحت عنوان : "سطوة الجيوبوليتيكا : الابن البار مجددا بين أحضان أبيه " .

في الواقع ، تصطف اليوم الكثير من الوقائع والأحداث على رصيف العالم العربي وسوريا تحديدا، وهي تنضح دوما بسطوة ولمعان لا منتهيان للجيوسياسة (الجيوبوليتيكا)، بالكثير من الفوضى والمؤامرة، والفوبيا والتوتر، كما تشي بعودة روسيا مجددا إلى الساحة الدولية ولكن هذه المرة بألوان مختلفة ، مرة في ثوب الراهب المعتدل (المصلح) ومرة في زي العسكري المحارب (الشرس) ومرة في صورة المداهن المنافق(المتنكر) وبأقصر تعبير: هولون جديد من ألوان "الجيوسياسة الروسية الواقعية" الجديدة في المنطقة العربية والعالم ككل، وفي حقيقة الحال فإن الفكرة الروسية بالتدخل في سوريا وباقي توجهاتها نحو العالم العربي هي على الأرجح منتج اليمين الروسي المتطرف الذي يسعى لاستعادة دور روسيا العالمي، وهي مزيج من دعم القوى الرئيسة في روسيا ابتداء بدور الكنيسة الأرثوذكسية (الحرب المقدسة) أو "روسيا روما الثالثة" ،فضلا عن شحنات "فوبيا الغرب" وانتشاء "نظرية المؤامرة" وبزوغ الهوية الأرثوذكسية مع الوطنية (القومية) الروسية اليمينية الصاعدة في مركب عقائدي جديد "يوراسيا الجديدة" حسب منظور أب "الأوراسية الواقعية " دوغن (قاموس "راسبوتين روسيا الجديد") ، الذي يرى دورا أكثر أهمية لروسيا في آسيا منه في أوروبا (مازن العزي2017.ص32)، هذا على الرغم من توافر كم هائل من الرؤى حول مجيء روسيا إلى سوريا كجزء مهم من المنطقة العربية والشرق الأوسط على خلفية طلب "إيراني – سوري" ما يثبت فعلا عقد "زواج المصالح" بين موسكو وطهران، وقد عبر عن ذلك صراحة "علي ولايتي" مستشار" آية الله علي خامنئ" للشؤون الخارجية قائلا:" أمر المرشد أن يبقى الأسد ونحن عملنا على بقــائه" (أسعد حيدر2017،ص25)، ومع ذلك فقد لخــص وزير خارجية ألمـانيا "فرانك فالتر شتاينماير" أهداف التدخل في سوريا وخص بذلك نوايا وأهداف الرئيس "بوتن" قائلا: "أراد حماية قواعده العسكرية في منطقة البحر المتوسط ودعم الأسد، ولكنه تدخل أيضا للتأكد من أن النظام الجديد في الشرق الأوسط سيقام مع أخذ المصالح الروسية بعين الاعتبار"(أسعد حيدر2017،ص25) .

يمكن القول على خلفية ذلك بأن التفات روسيا المفاجئ إلى المنطقة والتدخل الروسي المباشر العسكري في سوريا لم يكن نتيجة عقيدة "العالم الروسي"، أو بناء على تصور "العالم الأرثوذكسي" أو تحت مفهوم "العالم الأوراسي" فحسب، بل أيضا من وجهة نظر واقعية جاء ذلك نتيجة الهاجس الغربي ومنطق"

الخوف الهوبزي" من الغرب وأثر الشعور بالعزلة عن الساحة الدولية، وقد حصر " نيكولاي كوجانوف" المحاضر الزائر في الجامعة الأوروبية في "سان بطرسبرغ" ثلاثة أسباب رئيسية على الأقل لهذا التدخل، أولها ظاهرة الربيع العربي مع التأكيد على مسار الأزمة الليبية وما تمخض عنها، وثانيها إعادة انتخاب "بوتين" 2012 رئيسا لروسيا وشعوره بخيبة أمل تجاه الغرب، وثالثها الأزمة في العلاقات مع الغرب وتداعيات احتجاجات الميدان الأوروبي وضم شبه جزيرة القرم والحرب في شرق أوكرانيا (نيكولاي كوجانوف 2017 ،ص11) .

تعتبر عملية التدخل تلك أحد المشاهد المحققة على أرض الواقع وهي تعكس توجها جديدا في السياسة الخارجية الروسية هدفها تعزيز طموح روسيا نحو لعب دور أكبر في عالم متعدد الأقطاب، وكذا التأكيد على أهمية الدور الروسي كشريك قوي للغرب في تقرير السياسات الدولية، فضلا عن عوامل أخرى داخلية اقتصادية وسياسية وتكنولوجية وعسكرية ، كانت من الأسباب الكفيلة بعودة روسيا إلى المسرح الدولي ما يؤكد فعلا رسوخ العقيدة الجديدة لروسيا الاتحادية تجاه المنطقة العربية في المفهوم الواقعي الكلاسيكي ؛ اعتبارا لما تتبناه من افتراضات أساسية لفهم العلاقات الدولية؛ أهمها الاعتداد الدائم بمركزية الدولة ذات السيادة في العلاقات الدولية، وحساب الدول لمصالحها انطلاقا من عامل "القوة" (القوة الصلبة والقوة الناعمة) بما يؤكد الأهمية القصوى لعامل القوة والنظر إليها على أنها موضوعية في حد ذاتها، كما تقر أيضا بفوضى النظام الدولي(والتز) وتعترف بدورها الأساسي في تشكيل بنيته وبنية العلاقات الدولية مع الإقرار بأهمية "الفوضى" في التحكم في نمط توزيع القوة داخل أطر النظام الدولي، ضف إلى ذلك تأكيد النظرية الواقعية الكلاسيكية على عامل العون الذاتي Self-Help من خلال عامل الفوضى السائدة، فضلا عن تأكيد عامل البقاء والدولاتية.

نظرة مقتضبة للسياق العام الذي يبحث محددات ومداخل جيوسياسة الفعل الروسي الدينامي الجديد بالتدخل في سوريا؛ تفيد أن طروحات المدرسة الواقعية بتنويعاتها المختلفة كانت حقا ماثلة بقوة، فالشرق الأوسط كان بمثابة الساحة التي تتحدى فيها روسيا الغرب ، وتفرض بالمقابل فيها نفسها شريكا في محاربة الإرهاب ورسم السياسات الخاصة بالمنطقة ، لذلك سوريا هي المنصة التي خاطبت منها روسيا الغرب وانتزعت اعترافه بها من جديد كدولة عظمى تشاركه في تقرير مصائر شعوب المنطقة ودولها (بسام مقداد2017،ص24)، واعتبارا للبعد الديني لعقيدة "بوتن" القومية والتأييد الذي حظيت به تلك العقيدة من قبل الكنيسة الروسية، فإنه من المرجح الاعتقاد بأن كل ذلك قد استثمره الرئيس "بوتن" في إثارة وتعزيز الشعور لدى غالبية الروس بمفهوم "القلعة المحاصرة" وذلك من أجل "توسل أكبر للمشاعر القومية في السياسة الخارجية" على حد اعتقاد البعض، وحسب صحيفة "دويتشه فيله" فإن الرئاسة الحالية لروسيا - على خلاف كل القيادات الروسية السابقة – قد جعلت من موضوع "العداء للغرب" سياسة داخلية وليس سياسة خارجية، لذلك "يتوقف كثير من الساسة الروس ورجالات الدولة عن الوجود كسياسيين ورجال دولة إذا هم توقفوا عن إلقاء خطاباتهم المعادية للغرب فالصراع مع الغرب تحول منذ زمن بعيد إلى "مهنة" و"معنى حياة" بالنسبة إلى هؤلاء"(بسام مقداد2017،ص 23-24) .

مثل التدخل العسكري الروسي في سوريا دليلا مهما على حجم التغير الذي طرأ على أولويات روسيا الجيوبوليتيكية الداخلية والخارجية، باعتباره قد حصل في سياق حالة من الاحتقان نتجت هي الأخرى عن حجم المشكلات السياسية والاقتصادية وغيرها بفعل تدخل روسيا في أوكرانيا الشرقية بعد ضم" القرم"، وهوما يثبت اتساق السلوك الروسي الخارجي وافتراضات النظرية الواقعية النيوكلاسيكية و"الواقعية المعاصرة للهيمنة "، فهي تركز بدورها على أهمية العوامل الداخلية وضرورة عدم الفصل بين المستويات الخارجية –

النظامية والداخلية – المحلية للتحليل (التركيز على البنية الدولية والعوامل المحلية) ،كما أن ذلك يؤشر على دور عوامل جديدة غيرت من منسوب القوة الدولية وحجمها التقليدي داخل أطر النظام الدولي القائم بما غير فعلا من "وضع الهيمنة" للقوى الكبرى بما في ذلك الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا على حد سواء، وفي إطار تصورات المدرسة الاوراسية الجيوبوليتيكية فإن التدخل في سوريا – حسب البعض- يعتبر تكريسا لسياسة "بوتين" القديمة المتشددة والهادفة إلى الدفاع عن مصالح "العالم الروسي "وإلى ممارسة النفوذ بما يتعدى المدى الحيوي التقليدي ، وهوما يشي بتوليفة جديدة تطبع السلوك الخارجي الروسي بمشهد جديد بل وتفتح فصلا آخر قد نعلن من خلاله اليوم "عناقا تاريخيا" أكثر تسامحا بين المذهب الواقعي وعقيدة المدى الحيوي "الجيوبوليتيكا"، تحت بلاغ مؤقت يضمر إلى حد ما أمثولة "دعنا أيها الحصان النابه من الركض خارج الجغرافيا".

الانخراط الروسي الخارجي الأخير في المنطقة العربية؛ يأتي في سياق التعبير الصريح والمدعوم بالآلة العسكرية هذه المرة عن رفض عملية تغيير الأنظمة الموجه غربيا كإستراتيجية، بما يعني محاولة لجم الآلة الغربية وكبح نفوذها في المنطقة رفضا لتكرار سيناريو "ليبيا" بتدخل قوات حلف شمال الأطلسي الفاشل إلى حد الآن ، وبالمقابل رفض "الجرأة المتزايدة لقوى التحالف" على تهميش الدور الروسي واستثنائه من معادلة "الكعكة للجميع" وبالتالي إنهاء مسرحية "روسيا أخ لم يصطد شيئاً "حسب أمثولة " الأخ الوحيد (الغرب) الذي اصطاد بمفرده أرنبًا" (مسألة المعادلة الصفرية وتحقيق المكاسب النسبية حسب افتراضات النظرية الواقعية)، ومع ذلك، روسيا بالمقابل تعمل استراتيجيا على تشجيع الحوار الداخلي بين الأطراف المتصارعة من دون التدخلات الخارجية لحل النزاعات القائمة ضمن الحدود الوطنية ، وبذلك فإن روسيا تبدو في مقاربتها الرسمية الخطابية للشأن السوري حاملة عهدة اتفاقية "واستفاليا" وتقدير سيادة الدولة الأمة (مازن العزي2017،ص33)، وهذا بدوره يثبت مرة أخرى ترسخ الجيوسياسة الروسية في الخطاب الواقعي الكلاسيكي حول مركزية الدولة وحرمة سيادتها داخليا وخارجيا ، أي مركزية الدور السوري في فك رموز الصراع الداخلي على السلطة في إطار من "الديمقراطية السيادية" وليس "الديمقراطية الليبرالية" ، ولعل ما يذهب إليه "فيتالي نومكين" الخبير والمستشرق ومستشار المبعوث الدولي إلى سوريا إلى أن "التدخل الروسي جاء ليضع حدا لنمو التنظيمات الجهادية التي تشكل خطرا عظيما على الدولة- الأمة" يؤكد ذلك بوضوح، وعليه فإن الجيوسياسة الروسية في الشرق الأوسط تسعى إلى مد الصراع بين السنة والشيعة بعوامل تأجيج تبقي إمكانية قيام حرب كبرى قاب قوسين أوأدنى، فضلا عن تفعيل دور القوة وعامل العون الذاتي في ذلك ، وهوما ترافق مع إرادة روسيا السياسية ذات الدينامية العسكرية والدبلوماسية التي تؤسس لجملة تحالفات مع كل من إيران والنظام السوري استهدافا لإعادة هندسة الشرق الأوسط على الفالق السني – الشيعي (مازن العزي2017،ص32).

من وجهة نظر أخرى ، فإن الجيوسياسة الروسية تخدم بقوة هدف نقل الخطوط الدفاعية لروسيا من حدودها إلى مناطق أبعد ، وذلك في إطار توسيع نطاق قوس الهيمنة الروسي الجديد على مجالها الجنوبي على ما يبدو(نظرية المجال الحيوي لراتزل)؛ وهذا طبعًا بعد استعادتها لأقواسها الأخرى في محيط آسيا الوسطى وشبه جزيرة القرم ، وفي هذا الشأن فإنه من الضروري التأكيد على أن جانب مهم من سلوك روسيا الخارجي لم يكن إلا ليتمثل افتراضات الواقعيين الدفاعيين ، هذا كما أن روسيا كانت تهدف من جانب آخر إلى تقويض الوحدة "الأوروبية- الأطلسية" وتفكيك الإتحاد الأوروبي EU (نظريات التنافس المهيمن)، فضلا عن سعي روسيا

الاتحادية نحو "فرض مقايضة النفوذ الروسي بالاعتراف الغربي بمناطق المصالح الروسية ما بعد السوفياتية "(مازن العزي2017.ص32).

رغم رائحة العداء المتزايد من الغرب نحو روسيا لما تقوم به من مناورات وتظاهرات في المناطق والأقاليم المتاخمة لأوروبا، إلا أن رؤى ومنظورات لدعاة جدد لا بأس بهم في ميدان الجيوسياسة (دوغن) يدعون بأن روسيا تحارب في سوريا دفاعا عن المصالح الأوروبية، وقد يأتي هذا الاستنتاج "الحذق" على خلفية ما يقع في الغرب من أعمال إرهابية أو جهادية انتقامية مثل ما جرى في أحداث "شارلي إيبدو" وما وقع في شمال باريس في مدينة "سان دوني" والأحداث الأخيرة حول مقتل بعض رموز الأمن والشرطة في فرنسا ، فضلا عن وقائع الدهس في كل من ألمانيا وبريطانيا ، وربما ليس ما يقع في أوروبا فقط بل حتى الولايات المتحدة على إثر أحداث "بوسطن" وغيرها، كما يرى "دوغن" في "الدولة الإسلامية" تهديدا مباشرا للإتحاد الروسي بوصفها منتجا أمريكيا صمم لخلق الفوضى وتزويد واشنطن بأسباب تخدم تدخلها العسكري في أية لحظة (مازن العزي،2017،ص32) ، وهنا تحديدا ، يمكن القول أن روسيا تتبنى توجها "هجوميا في شكله الدفاعي " أو ربما هو فصل جديد ذو "منهج حلزوني" لإرضاء الغرب جيوسياسيا وواقعيا ضمن "حاضنة المقايضة " الثنائية في الشرق الأوسط.

إلى حد ما ، تعد الضربات العسكرية والهجمات الصاروخية الأخيرة لقوات التحالف الثلاثي بقيادة الولايات المتحدة على مواقع في سوريا ، وذلك على خلفية ملف التحقيق باستعمال السلاح الكيماوي من قبل النظام أومن قبل أطراف أخرى مشتبه بها ؛ بمثابة خطوة عملية تعكس نهاية "مرحلة الغفلة " وبداية "مرحلة الاستدراك" لدى الغرب ككل لتبعات ما يجري في الشرق الأوسط، ومن خلال افتراضات "نظريات الحرب المهيمنة الواقعية" فإن ذلك ما هو إلا انعكاس واضح لتراجع "منسوب القوة المهيمنة الغربية" عموما على مسار السياسة العالمية وبالمقابل الارتفاع النسبي لاحتياطي الطاقة الكامنة لروسيا والتي ممكن جدا أن تستثمر من قبلها في لحظة غفلة من الجميع لاعتلاء عتبة القوة المهيمنة الثانية ، ما عزز لدى القوى المهيمنة التقليدية في النظام الدولي نزعة الهجوم الاستباقي على مكتسبات مشروع الهيمنة الروسي المستقبلي هناك.

في نفس السياق ، وفي قلب "المعضلة الأمنية" تتصرف روسيا اليوم بحذر شديد تجاه نوايا الغرب وتحديدا تجاه نوايا الولايات المتحدة (تبعا لافتراضات الواقعية النيوكلاسيكية) ،وهي تستذكر جيدا ما استوعبته من درس "الحرب في البوسنة" بعدما شنت الولايات المتحدة في العام 1996 حملة جوية أجبرت صرب البوسنة و"بلغراد" وموسكو على القبول بتوقيع اتفاق "دايتون " للسلام ، وانعكاسا للشكوك الزائدة عن اللزوم من قبل أطراف لعبة الشطرنج أو اللعبة الكبرى في المنطقة بما في ذلك روسيا مع تصورها حالة "غش" محتملة من قبل ساسة الغرب الحاليين (ترامب وماي) ، فقد قامت روسيا بنقل قطع من " أسطول البحر الأسود" إلى شرق المتوسط وجلبت معها منظومات أسلحة لا علاقة لها بقتال المعارضة ولا الدولة الإسلامية ، بل تهدف إلى خلق منطقة حظر جوي فوق مناطق النظام السوري ، ولتحقيق ذلك فقد دعمت القوات البرية بغطاء جوي استخدمت فيه طائرات "CY-25 " و " CY-34 " وحوامات "MI-24 " ومنظومة صواريخ S-400 (مازن العزي،2017،ص32).

خاتمة

السياسة الخارجية الروسية ذات الأبعاد والحدود الجيوسياسية الواقعية ؛ أضحت تختلف كلية عما كانت عليه السياسة الخارجية الإيديولوجية للإتحاد السوفياتي سابقا سواء من حيث الوسائل أو الأهداف أو الآفاق .

تعكس تلك الجيوسياسة اليوم في المنطقة العربية خطوطا حمراء لروسيا ، ويبدوأنها مستعدة للدفاع عنها مهما كلفها الثمن ، ودليل ذلك ؛ العناد الذي أظهرته موسكو في الدفاع عن الرئيس بشار الأسد ، بما هيأ روسيا مرة أخرى لأن تصبح لاعبا واقعيا قويا ومعطى أساسيا ضمن معادلة الشرق الأوسط والمنطقة العربية ككل، على أنها أصبحت تملك القدرة الكافية على استغلال أخطاء الغرب مع عدم التورط في مغامرة مواجهته المباشرة، ما ساعد على نجاح اختبار دبلوماسيتها الحربية الجديدة خارج معادلة مجالها الحيوي التقليدي.

تحت ضغط التغيير الغربي الخارجي "الناعم" لأنظمة الدول ذات الأهمية الإستراتيجية في العقيدة الروسية، فإن روسيا تتبنى اليوم نهج "التغيير الخشن "بدعمها الحركات الانفصالية، عبر جيوبوليتيكا إستراتيجية خارجية واقعية في علاقاتها مع الغرب ، وبالمقابل هي ذات جيوبوليتيكا تكتيكية " ديناميية" "دون – واقعية" على المسرح العربي للأحداث، فهي تعمل على تحريض ودعم الميليشيات والجماعات لإثارة الفوضى وإطالة عمر الأزمة في سوريا؛ أي تشجيع "الأجسام غير الويستفالية" من أجل افتكاك وثيقة " الاعتراف العالمي عن وعي" بدورها في المنطقة، وهوما يعكس بحق افتراضات الواقعية الجديدة حول الدور الأساسي للفوضى.

لن تكون روسيا قادرة باستمرار على ضمان نفوذها في المنطقة العربية واقعيا وجيوسياسيا؛ من دون تمكنها من تجاوز تحدي ضمور أخطاء الغرب المستغلة من قبلها مرارا ، مع صعوبة الادعاء عمليا بوجود هامش لمقارنة قدراتها المحدودة بالقدرات المفرطة للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي معا، ناهيك عما تعانيه من مشكلات داخلية اقتصادية ، مالية وسياسية ، وعلى الأرجح نشاط السياسة الخارجية الأمريكية مع حلفائها في المنطقة مؤخرا لا يمكن إلا أن يكون عنوانا فاقعا لذلك ، وإذا كان ولا بد على روسيا أن تكون ذات حضور قوي ودائم في المنطقة العربية – على أن "الواقعية" لم تعد "ضالتها" هناك- فإن نهج الجيوسياسة الواقعية وحده كفيل بذلك.

: قائمة المراجع

أ- باللغة العربية:

1- دوغين ،الكسندر.(2004). أسس الجيوبوليتيكا . مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي . تعريب وتقديم : عماد حاتم. بيروت:دار الكتاب الجديد المتحدة.

2- زاسيبكين ،الكسندر. وآخرون .(2017). روسيا والعالم العربي. بيروت : معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأمريكية.

3- لاكوير، وولتر . (2016). البوتينية. روسيا ومستقبلها مع الغرب . ترجمة : فؤاد زعرور. بيروت: دار الكتاب العربي.

4- لوزيانين ، س.غ. (2012). عودة روسيا إلى الشرق الكبير . ترجمة : هاشم حمادي. سورية : دار المدى للثقافة والنشر .

5- فرح ، سهيل .(2003) . "الجيوبوليتيك الروسي: ملامح القوة والضعف". في : شؤون الأوسط . بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية. العدد112.

ب- باللغة الأجنبية:

6- Bégarie Hervé Coutau. Motte, Martin. (2e Edition). Approches De La Géopolitique .De L'antiquité Aux XXI[e] Siècle. Ecoles De Saint-Cyr Coetquidan.

7- Boniface, Pascal. (2016).La Géopolitique. 42 Fiches Thématiques Et Documentées Pour Comprendre L'actualité. Groupe Eyrolles 61.Paris.

8- Borshchevskaya, Anna. (2015). "Russia in Syria (part 1): Declining Military Capabilities Won't Hold Moscow Back." The Washington Institute for Near East Policy.

9- Baylis, john & smith, Steve. (2003) .The Globalization Of World Politics, London:Oxford University Press.

10- Blanc, Hélène. (2015).Good bye, Poutine. Union Européenne- Russie- Ukraine. (Ouvrage collectif sous la direction éditoriale d'Hélène blanc). Collection « Pensée Sans Frontières ». Ginkgo. Paris.

11- Bennafla, Karine Et Autres. (2007).Géopolitique Du Maghreb Et Du Moyen-Orient, Armand Colin Editeur. Editions Sedes. Paris.

12- BEGARIE. HERVE COUTAU, MOTTE. MARTIN. (2[e] Edition). Approches De La Géopolitique .De L'antiquité Aux XXI[e] Siècle. Ecoles De Saint-Cyr Coetquidan.

13- Elman, Colin. (1996). 'Why Not a Neorealist Theory of Foreign Policy? Security Studies, Vol. 6, No. 1

14- Edgar, Morin. (1990). « le dialogue de l'order et du desorder ».In La Querelle Du Determinisme.Dossier Reuni Par K.Pomian.Paris. Le Debat/Gallimard.

15- Feng, Liu. Ruizhuang, Zhang. (2006). "*The Typologies of Realism*». Chines Journal of International Politics.Vol. 1.

16- Foucher, Michel. (1997). La fin de la géopolitique ? Réflexions géographiques sur la grammaire des puissances. In: Politique étrangère. n°1. In : http://www.persee.fr/doc/polit_0032-342x_1997_num_62_1_4609

17- Gerard, Dussouy (2001).Quelle Géopolitique Au XX[e] Siècle ? Paris : les éditions complexa. Collection théorie politique.

18-Giesen ,G ,K. (1992). L'ethique,anglo-americaine. les theories des relation internationales contemporaines. Bruylant,bruxelle.

19- Jouanny, Jean Robert. (2016).Que Veut Poutine ? Editions Du Seuil. 25 .Bd Romain-Rolland, Paris XIV[e].

20- Jacques Roche, Jean. (1994).Theorie Des Relations Internationales»Clefs Politique». Paris.

21- Jones, Erik. (2009). "Look for the Blind Spot where Structural Realism Meets Pluralistic Stagnation". *The British Journal of Politics and International Relations*, Vol.11.

22- Lasserre, Fréderic. Gonon, Emmanuel. (2008). Manuel De Géopolitique. Enjeux De Pouvoir Sur Des Territoires, Armand Colin, Paris.

23- Leclercq, Arnaud. (2012). La Russie Puissance D'Eurasie. Histoire Géopolitique Des Origines à Poutine. Ellipses Edition marketing S.A. paris..

24- Marchand, Pascal. (2007). Géopolitique De La Russie, Ellipses Edition Marketing S.A. Paris.

25 -Mutin, Georges. (2009). Géopolitique Du Monde Arabe. Ellipses Edition Marketing S.A. Paris.

26- Mead, Walter Russell. (2014). "The Return of Geopolitics. The Revenge of the Revisionist Powers". Foreign Affairs.

27- Rosière, Stéphane Et Autres. (2009).Penser. L'espace politique. Ellipses Edition Marketing S.A. Paris.

28- Robert Jouanny, Jean.(2016). Que Veut Poutine ? Editions Du Seuil. Paris XIV[e.] .

29- Schweller Randall L. (1996). 'Neo-Realism's Status-Quo Bias: What the Security Dilemma Is? '
Security Studies, Vol. 5, No. 3.

30- Viatcheslav, avioutskii. (2006).Geopolitique Continentales : Le Monde Au Xxie Siecle, Armand Colin, Paris .

31- Waltz, Kenneth. n. (1979). Theory of international politics .Reading, Ma: Addison–Wesley.

32- Wieclawski, Jacek. (*2011).*" Contemporary Realism and the Foreign Policy of the Russian Federation". *International Journal of Business and Social Science.* Centre for Promoting Ideas. USA. *Vol. 2. N.1.*

33- Zakaria, Fareed. (1998). From Wealth to Power: The Unusual Origins of America's World Role Princeton, NJ: Princeton University Press.